الفصل الثاني
مسيرة الحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي

الفصل الثاني

مسيرة الحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي

لو درسنا التركيب السكاني للمجتمع العراقي في منتصف القرن التاسع عشر لادركنا بوضوح مبلغ تاثير القيم البدوية فيه[١]، وان واقعه الذهني، واقعاً جمعياً، تتضاءل فيه الفردية، حتى لا نجد لها ادنى الملامح التي بدأ (نورها يبزغ مع نهاية الحرب العالمية الثانية) [٢]، ومن ينبوع توجهه الجماعي نبعت عمليات الاعداد الاجتماعي التي يمكن تلخيصها بانها كانت تحدد دورين راسيين، هما دورا الرجل والمرأة حين عظمت دور الرجل ومكانته منذ مرحلة الطفولة التي تحاول ان تجعل منه (سبعاً) على حد مقولة الوردي، وتحمله اعباء المسؤولية الاجتماعية، الامر الذي صيره ذو قيمة ايجابية؛ وقلصت دور ومكانة المرأة[٣]، وجعلتها تابعة للرجل، فانطبعت بكونها ذات قيمة سلبية.

عكست هاتان القيمتان موقعي الرجل والمرأة، ومن خلالهما طبيعة الوضع الاجتماعي، فحظيت مكانة الرجل بالاولوية بسبب الاوضاع الحضارية التي احاطت بالعراق منذ سقوط بغداد وحتى قيام الحكم الوطني. فقد كان مجمل الظرف قائماً على اساس "العصبية" التي كان وجودها ضرورياً في سبيل

(١) د. علي الوردي، الفرضيات الثلاث حول المجتمع العراقي، جريدة القادسية، العدد ١٨٦١، ٢٢ حزيران، ١٩٨٦.

(٢) ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مجلة كلية الاداب، العدد ٢٥، شباط، ١٩٧٩.

(٣) ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مصدر سابق.

المحافظة على الكيان الاجتماعي وعملت كل قيمة على تعزيز القيمة الاخرى، بما نحمل من سلطة، تدعم مكانتها، فتمخض عنهما نمط الاستاتيكية في الشخصية العراقية، واصبح كل من الرجل والمرأة يمارس دوره على وتيرة واحدة. لقد ارتكز الاعداد الاجتماعي في المجتمع العراقي على هذا الاساس فالمظهر الأول لتاثير الاسرة كجماعة على السلوك الانساني هو دورها في تشكيل شخصية الفرد التي تمثل خصائصه وصفاته والتي تعمل على توجيه السلوك وتحديده[١]. ويعد الخروج عن النمط العام لطبيعة هذا الاعداد الاجتماعي، ضرباً من الانحراف الاجتماعي الذي لا يرتضيه المجتمع[٢]، ولذا فقد كان الحراك الاجتماعي يتميز بالافقية والجمود، والانتقال من مركز الى مركز لا يتم الا سلفاً، ومعد له من قبل الهيئة الاجتماعية للجماعة غير الرسمية، كما راعته التنظيمات الرسمية، فمدرسة الصناعة في مدينة كركوك التي اسست في عشرينات هذا القرن، فُضِّلَ ان يحصر أمر قبول طلبتها بابناء العمال في شركة نفط العراق[٣]، واقصى درجات الحراك الاجتماعي كانت تتمثل بالحصول على الوظيفة الحكومية، وهو امر قد ساهمت فيه الهجرة من الريف الى المدينة، فشهد المجتمع العراقي خلال اواخر العقد الخمسيني والعقد الستيني الذي شهد انتفاضات وثورات لاصلاح الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، استاتيكية في حراكه الاجتماعي[٤].

---

(٤) د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٨، ص٢٤٨.

(٥) د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٣٤٣-٣٤٤.

(١) عبد الغني الدلي واخرون، احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية، مطبعة الزهراء، بغداد، ط١، ١٩٥٣، ص١٩٤.

(1) المصدر نفسه، ص٢٤٧.

إن التغير في المجتمع العراقي بدا منذ اصلاحات مدحت باشا، ونامق باشا، عززها الانكليز عندما دخلوا العراق وبدا العمل بنصب السكك الحديدية واستثمار النفط خلال الحرب العالمية الاولى، وقد جلبوا معهم اعدادا كبيرة من المهندسين والعمال الماهرين لانجاز مشاريعهم(١)، وان كانت فئة العمال هم اكثر الفئات احتكاكاً بالانكليز بحكم العمل الذي ربطهم بهم، وكان لظروف الحرب العالمية الثانية والوعي السياسي والانفتاح الثقافي الذي شهده القطر الاثر في احداث التغير في تفكير الرجل العراقي التقليدي الذي سمح للمرأة بالعمل خارج المنزل، وهو يعد من اوضح مؤشرات الحراك الاجتماعي في الخمسينات، حيث بدأت تتغير مكانة المرأة المرسومة لها سلفاً وان كان التغير في القطر لم يكن من العمق بحيث انه احدث تغيرات اجتماعية كثيفة في نظام القيم التقليدية(٢).

وقد اظهرت دراسة عن قيم المجتمع العراقي في اواخر العقد الستيني أن هناك نوعاً من عدم الانسجام ما بين القديم والجديد، حيث بلغت نسبة ١٥% من المبحوثين من نادوا بالمحافظة على القيم الخلقية، والتقاليد والعادات الموروثة(٣)، وهي نسبة قليلة جداًن بل ان قياسها احصائياً يشير الى ان ثلاثة ارباع المجتمع العراقي ممن يؤمن بالقيم الجديدة التي جاء بها التغير، ولكن الحقيقة ان النسب ٢٨%، ٢٥.٧%، ٢١.٣% من المبحوثين كانت تؤكد على

(١) د. كمال مظهر احمد، الطبقة العاملة العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١، ص٥٠.
(٢) د. علاء الدين البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي...، مصدر سابق، ص٥٥٤.
(٣) د. مسارع الراوي وآخرون، القيم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العراقي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٩، ص٧٠.

قيم الشهامة والشجاعة والجرأة والتمسك بالشعائر الدينية والتسامح الديني والمحافظة على الشرف والغيرة والتماسك بين افراد الاسرة وسيطرة رب الاسرة، ونجدة الضعفاء وحسن الجوار[١]. و هذه القيم في مجملها قيم قبلية بدوية، و من هنا فان الـ ٨٥% و هي النسبة المكملة لـ (ال ١٥%) هي ممن يتمسك بالقيم التقليدية، ولعل دعوتهم الى الايمان بالتغير القيمي كان يتمثل برغبتهم في احلال قيم جديدة جوهرها القيم التقليدية نفسها، اما اشكالها الظاهرة فحديثة، كما تشير هذه الدراسة الى حالة التهيؤ النفسي لدى المجتمع العراقي لقبول التغير الاجتماعي وبالتالي الرغبة في حركية اجتماعية توفر لهم الاطمئنان الاجتماعي والاقتصادي خاصة بعد قيام الدولة بتخطيط الاطر المعروضة لهيكل الصناعة في العراق وتشييد مختلف المشاريع الصناعية[٢]، فانتشرت القيم الاجتماعية التي تلائم الوضع الاقتصادي الجديد، واصبحت الاعتبارات الشخصية التي كانت تلعب دوراً في التركيب القروي خارج دائرة التفاعل ما دامت لا تناسب مبدأ الربح والمنفعة[٣]، الذي اصبح من القيم الاقتصادية ذات الطابع البارز في الحياة الاجتماعية العراقية واصبحت ظاهرة الاستهلاك المظهري في طليعة المعايير الفاعلة في الحراك الاجتماعي، فهي علامات مرئية محسوسة يسهل استعمالها في التقييم الاجتماعي السريع

(١) د. مسارع الراوي وآخرون ، المصدر السابق، ص٧١.
(٢) د. احسان محمد الحسن، التصنيع وتغيير المجتمع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص١٦.
(٣) د. قيس النوري، ملامح الواقع الذهني في مجتمعنا، مصدر سابق، ص٣٩٣.

والمباشر لتحديد مراكز الناس بحسب ما توحي به درجات السمو أو الصعود المالي[١].

كانت طبيعة الحراك الاجتماعي خلال العقدين السبعيني والثمانيني من هذا القرن نتيجة تخطيط مدروس ومحسوب سعت له حكومة الثورة، وهو حراك قائم على اساس التحصيل المعرفي، واصبح تمجيد الذات وتعظيمها من سمات المجتمع العراقي الحديث، وان كان تمجيد الذات هذا تم ضمن اطار المجتمع وليس مفردة عنه، والحراك الاجتماعي المخطط له غالباً ما تكون انعكاساته ايجابية، ومهما تكون سمات آثاره فهي تخرج بالمجتمع من واقعه الاني، الى افاق اوسع من البناء والتقدم الاجتماعي، فهي تخرج من حدود كونها اداة في يد القلة الى ان تصبح اداة في يد الجماهير بقطاعاتها العريضة[٢] التي تصبغ تخطيطها بالطابع الجماعي، واضحى مبدأ المشاركة الاجتماعية من اهم المبادئ الحية التي انعكست على العلاقات التوزيعية والاجتماعية في العراق[٣]، فالحراك الاجتماعي الذي شهده المجتمع العراقي قبل العقد التسعيني حراك مخطط له ومدروس نبع من الاعداد الاجتماعي (المثال القيمي) الذي لم يكن في جوهره سوى تقاليد وقيم بدوية تكيفت معاييرها للوضع الاجتماعي ابان النهضة الاجتماعية والعمرانية التي اخذت الدولة على عاتقها، تخطيطها، وتنفيذها، وكان التنبؤ بالمستقبل يمكن استجلاؤه بسهولة في حالة بقاء الظروف الطبيعية قائمة، فالمثال القيمي مُيسيّر وينظم الافراد، وطالما اتسم الوضع الاجتماعي العراقي بالثبوت النسبي والتخطيط المدروس لتغيره وفق مبادئ

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٣.
(٢) د. مسارع الراوي، مصدر سابق، ص٦٣.
(٣) د. قيس النوري، افاق التغير الاجتماعي، مصدر سابق، ص٣٦٤.

المثال القيمي، فان التنبؤ بالمكانات والادوار اصبح امراً مفروغاً منه، من هذا المنطلق اتسم الحراك الاجتماعي خلال تلك الفترة بالقبول والرضا الاجتماعي، كما انه لم يكن في حقيقة الامر تغييراً مادياً ملموساً، وتغييراً بسيطاً على المستوى العلاقاتي، يمكن ان ندعوه (التغيير البسيط) تكيفاً قيمياً استدعته الظروف المستجدة، ولعل مؤشر اختيار الزوجة يدعم مقولتنا هذه، فما زال السلوك والخلق الحسن[1] في مقدمة معايير الاختيار، ولم يكن لبقية المعايير الاخرى من تعلم، ومستوى اقتصادي، ومكانة مهنية عالية للمرأة اية قيمة تذكر اذا ما انتفت قيمة الخلق والسلوك الحسن.

من جانب اخر اتسم هذا الحراك بطابعه المتشابك مع تغيرّ في مكانة الشخص العلمية يصحبه تحسن في مكانتيه الاجتماعية والاقتصادية وبذا فقد خلق الحراك الاجتماعي توازناً اجتماعياً، ومن هنا جاء اختلافه عن الحراك الاجتماعي في العقد التسعيني. حيث شهد المجتمع العراقي ظرفاً استثنائياً، ترتب عليه وضع اقتصادي صعب بما فرض عليه من حصار جائر بسبب من سياسته القومية، فكان (الحراك الاجتماعي خلال هذه الفترة) حراكاً ارتجالياً احدث خلخلة في النظام الاجتماعي، وحمل قيماً نفعية بحتة هي غير مبدا الربح والمنفعة في الحراك الاجتماعي قبل العقد التسعيني، بحيث اصبح المردود المالي، هو المسير لطابعه العام دون ان تكون للاعتبارات الاجتماعية التي حافظت على بقائها اثر رادع في مواجهة مده.

(١) عائدة سالم محمد الجنابي، المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٣، ص١٣٩.

سمة حراك العقد التسعيني الاجتماعي، التبريرات الاجتماعية للانماط السلوكية، وشهدت القيم والتقاليد انحساراً، فالأخلاقية الاقتصادية لا تخضع للفكر الروحي حسبما يذكر ماكس فيبر، ذلك ان العوامل الاقتصادية والسياسية تمارس تأثيراً عظيماً على افعال الحياة لمختلف الشرائح الاجتماعية باعتبار هذه العوامل تمثل جوانب الحياة الواقعية[1] التي تقتضي سلوكاً نفعياً، خاصة في ظل ظرف استثنائي يصبح فيه من الصعب تأمين الحاجات الاساسية.

واذا كان الحراك الاجتماعي قبل العقد التسعيني قد سار بموجب المثال القيمي بما حمله من مفاهيم اجتماعية تميزت بطابعها العاطفي التضامني، لا يلائم ثقافة المرحلة الراهنة، فغير الافراد من اتجاهاتهم القيمية في سبيل تأمين الجانب المعيشي، فتغيير الاتجاه واحلال اخر محله يتوقف على مدى التوافق بين هذا الاتجاه الجديد وباقي الاتجاهات الاخرى التي تكون التنظيم الاتجاهي للفرد[2]، فالظرف الاستثنائي الذي عاشه المجتمع العراقي بما صاحبه من هجوم اعلامي ضخم معادي، وسلوك فعلي سلكته القوى الامبريالية، وبما تمخض عنه من وضع اقتصادي صعب، ابرز ملامحه التضخم الاقتصادي، واصبح المعروف عن هذا الظرف انه ساهم في تغيير تفكير الفرد العراقي ولم يكن عندئذ من سبيل الاخلق (مثال قيمي) جديد يأخذ على طابعه تسيير الحياة الاجتماعية، قام في جوهره على اساس ان المعيار المالي، والكسب الاقتصادي هو المقياس الامثل، لقياس السلوك الاجتماعي. فحل هذا المعيار محل

(١) اينوروزي، جدلية علم الاجتماع بين الرمز والاشارة، تأليف: د. قيس النوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص٨٢-٨٣.
(٢) د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، مصدر سابق، ص٢٢٧.

(الاستهلاك المظهري) الذي استخدم كمقياس للسلوك الاجتماعي في العقدين السبعيني والثمانيني.

الا ان القبول الاجتماعي لهذا المثال القيمي الجديد لم يكن مطلقاً لاعتبارين أولاً حداثته، وانه ما زال في طور التكوين، مخالفته بعض متغيرات المثال القيمي القديم، إلا ان الأخذ به لم يكن له من مَفَرْ فما كان من افراد المجتمع العراقي أنذاك إلا اللجوء للسلوك الرمزي ليزاوجوا ويوافقوا ما بين شكلي المثالين القيمين وكي يمرروا ما اتفقوا عليه معنى وربما اختلفوا عليه تفسيراً أو تصوراً أو سلوكاً بحكم متغيرات عديدة ربما كانت الحاجة الاقتصادية في مقدمتها. ومعلوم عن الرموز الاجتماعية انها "تكتسب شرعيتها بمجرد ان يُعترف بها، وتفرض قوتها كسيادة تستدعي الاعتراف كحقيقة رأس المال"[١]، او حقيقة الرموز الدينية وليست مصدر السيادة الفوقية لها، الرموز، وانما مصدر سلطتها دخولها في علاقات التوافق "وعلاقات التعارض التي تُكون منظومة العلاقات المميزة التي تحدد تشكيلة اجتماعية جديدة امتازت بالسرعة"[٢] التي غيرت ليس امكانات الافراد الاقتصادية ومن ثم الاجتماعية وفق المقاييس العقلية او القيمية المنطقية، وانما غيرت المفهوم العلاقاتي في عملية التقييم الاجتماعي، واذا كان الحراك الاجتماعي قبلاً فيه نوع من التشابك ما بين انساقه البنائية فالتحسن في المكانة الاقتصادية يرافقه بالضرورة تحسن بالمكانة الاجتماعية، فان الحراك الاجتماعي الراهن قد انطوى على نتيجة

(١) الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الأنسانية والحضارية، ع٤١، سنة ١٩٨٦، مركز الأنماء القومي، بيروت؛ بيير بورديو، الراسمال الرمزي والطبقات الاجتماعية، ترجمة: عبد السلام عبد العالي، ص٤١.
(٢) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

عكسية، فالنجاح الاقتصادي الذي حققه الفرد هنا مبتور في كثير من الاحيان عن النسق الاجتماعي فتمتع ازاء هذا الوضع الكثير ممن يحتلون مراكز اجتماعية واطئة بامكانات اقتصادية جديدة منحتهم مكانة اجتماعية وليس مجرد احترام اجتماعي مصدره الاقتصاد.

يذهب علماء الأجتماع التفسيريون الى القول بان الواقع الأجتماعي لا يعدو ان يكون عملية رمزية تولده الافعال والمعاني المشتركة المنسوبة اليها وهذه العمليات الرمزية تصور ممارسات مقبولة وذات أثر فاعل في يوميات الأفراد(١) يمكن ان تشكل هذه الافعال ومعانيها مثلاً عليا واقعية وتقويمية حسب ما يذهب الى ذلك اميل دوركهايم في المثل الواقعية يكون المثل الاعلى رمزاً للشيء على النحو الذي يجعل من هذا الشيء، أمراً، يمكن ان يدركه الفعل بينما المثل التقويمية يكون الشيء رمزاً للمثل الاعلى على الوجه الذي يجعل تصور هذه المثل امراً ممكناً(٢)، والاستشهاد برمز لتوضيح هذه القاعدة يظهر علاقة التصور الذهني بالموقف الاجتماعي ذي البنيتين القيمية والسلوكية، فالكرم كأحد المثل الواقعية يشكل مثلاً اعلى يشكل رمزاً للمرؤوة التي هي شيء. والواقعية هنا تتمثل بالمظهر السلوكي للشيء المرموز اليه وهو المرؤة بينما المثل التقويمية، يكون المرموز اليه نفس (المرؤة) رمزاً للشيء (الكرم)، وفي هذه المثل (التقويمية) نقوم ونقيس السلوك، وفق سلوك المرموز اليه الذي اضحى رمزاً.

(١) عبد الله بن مسعود الطويرقي، مناهج البحث التفسيرية في دراسات الاتصال التنظيمي، حولية كلية الانسانيات والعلوم الأجتماعية، جامعة قطر، ع١٨، سنة ١٩٨٥، ص٣٦٢.
(٢) اميل دوركهايم، علم اجتماع وفلسفة، ترجمة: د. حسن انيس، مكتبة الانجلو-مصرية القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٦٦، ص١٦٦.

هـذا التحليـل الـدوركهايمي للرمـز الاجتمـاعي، شـكل تصـنيفاً اعتمـده التفاعليين الرمزيين في تصنيفاتهم للسلوك الرمزي بكونها تجريبية او غير تجريبية، صورية، او ذات جذور اجتماعية[١]، ذلك ان هذه الاصناف لا تخرج عن الاطار التصنيفي لدوركهايم، وهي في مجملها تصورات لمواقف اجتماعية تحمل "صفة الجودة او الرداءة والايجابية او السلبية، ويتكرر استعمالها. فتثبت هذه الصفات في عقول وافكار الافراد وتصبح وظائف اجتماعية يقوم بها اعضاء المجتمع. [٢]

ان للرموز قواعد بنائية تتشكل في ضوءها. وقد تمثل الراي والموقف الاجتماعي. القاعدتان البنائيتان الرئيسيتان في تشكل الرمز فالتصور الذهني المقـرون بـالوعي لفعـل اجتمـاعي مـارس قسـراً فيزيقيـاً او ثقافيـاً، (وبالاتجـاه المقابل)، ان الفعل الاجتماعي ذي صفة القسر الفيزيقي او الثقافي افرز تصور ذهني مقرون بوعي اجتماعي. هذا التداخل المتعاكس للتصور الذهني والموقف الاجتماعي، حصيلة علاقة اجتماعية متمثلة بالخط الرمزي وقد شكل جزء من المعرفة الاجتماعية التي "لا تتضمن الالغاز الغامضة والاحداث غير المألوفة، بل ما هو متكرر وعام وشامل يشترك معظم الافراد في فعلهِ"[٣] تمخض عنه الرمز الاجتماعي الذي يعبر عن خصائص مشتركة لمجاميع هائلة من الافكار

(١) د. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي، المعاصر، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص١٧٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٩٠.
(٣) معن خليل عمر، علم اجتماع المعرفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص٢٣١.

وتصبح دراسة الرمز الأجتماعي دراسة للواقع السلوكي والولوج في بحثه يعني استوضاح مضامين الفعل الأجتماعي والوقوف على متغيراته.

وقد مرَّ مثال الظرف الاستثنائي القيمي بمرحلتي الاراء والمواقف. فالراي اتجاه اجتماعي يتبناه الافراد لفترات قصيرة، وتعكس الشعور العام السائد، ولذلك فانها تستجيب للتغيير متأثرة بالدعاية او بالمنطق[1]. وقد امتدت هذه المرحلة خلال السنوات الثلاث الاولى من الحصار الجائر. وكانت الاراء في تغيير مستمر بين تحسن الوضع الاقتصادي و عدم تحسنه، اثناء انعقاد مجلس الامن لمناقشة موضوع الحصار، وتلت هذه المرحلة، مرحلة المواقف التي يتمثل فحواها بان الحياة القلقة تبد أنها حالة طبيعية، فلا بد من اتخاذ اراء اكثر ثبوتاً بغض النظر عما تذيعه وسائل الاعلام. تعكس اذن مرحلة المواقف الوعي باستمرارية الظرف الاستثنائي، وغالباً ما يقترن هذا الوعي بالطموح والرفض للتغييرات الاجتماعية.

فكان وعياً من واقع افضى الى تصور ذهني شكل رموزاً اجتماعية-لغوية اصبحت متداولة بين افراد المجتمع العراقي. وأخرى اجتماعية-مادية، وقامت الامثال الشعبية التي صكها المجتمع رموزاً لها دلالاتها اللغوية-الرمزية على سبيل المثال مَثل [الشغل موعيب] وهو تبرير استخدم من قبل الذين يعملون بعد الدوام الرسمي خاصة الموظفين والمعلمين ويقرهم المجتمع على هذا الاصطلاح بعد ان كان العمل محظوراً على هاتين الفئتين حتى مطلع التسعينات من القرن العشرين.

(١) د. اسماعيل علي سعد، الراي العام بين القوة والايدلوجية، ج٣، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٨٨، ص١٤٨.

اما الرموز الاجتماعية-المادية فبفعل الحصار لجأت الدولة الى الزراعة من أجل سد حاجتها الذاتية فقامت بتقديم الدعم لفئة الفلاحين حتى اصبح الفلاح بما يملكه من رصيد مالي رمزاً لتلك المرحلة.

اذن فقد قام عنصر الوعي لدى العراقين بمدى المصلحة المتحققة من أي سلوك يقتضيه في سبيل تأمين الجانب المعيشي، والمصلحة شكل من اشكال الرواسب التي تلعب الدور المؤثر في عملية التوازن الاجتماعي.

تمثل الرواسب الدوافع الحقيقية للسلوك الانساني، سواء كان هذا السلوك اقتصادياً او غير اقتصادي حسبما يرى باريتو(١)، والموقف الاجتماعي الذي يتمخض من الوعي يعكس حقيقة الراسب بجوهره من غير رتوشات اجتماعية، وليس ادل على حقيقة الموقف الاجتماعي للفرد العراقي من سلوكه، فسلوك الشخص العراقي ضمن الفترة الراهنة سلوك مصلحي نفعي يأخذ بحسبانه بالدرجة الاولى اشباع حاجاته الاولية بغض النظر عن مثاله القيمي التقليدي الذي يتعارض ومنهجه السلوكي.

يتمثل الراسب ايضا بالطموح، وخاصة بتحقيق الكسب الاقتصادي في ظل (مثال الظرف الاستثنائي القيمي) وعلى هدى معاييره. أما ما نلاحظه من رفض لهذا (المثال القيمي) الذي غالباً ما يمتاز بالتجريد اللغوي وحسب، فهو ما يدعوه بارتيو بالمشتقات التي هي التبريرات العقلانية والمسوغات الفكرية للسلوك الاجتماعي كي تدعم شرعيته بحيث يكون مقبولاً ومتوافقاً مع حقيقة الوضع الخارجي(٢)، وبذا ينطوي السلوك الاجتماعي التبريري على مضموني

(١) د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع الاقتصادي، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٥٤-٥٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٤-٥٦.

الرفض والتبرير. فالشخص يقوم بالفعل مدفوعاً بعواطفه، وهو في نفس الوقت يبدي رغبته في تفسير افعاله باذها حصيلة قوة المنطق[1]، ومنطق الحاجة الملحة لدى العراقيين المتمثلة بتأمين الأمن المعيشي في هذا الظرف التي تدفعهم دائماً الى تبني التبريرات التي يكون معظمها تعليلات مبنية على التجريب.

تضمن الحراك الاجتماعي في ظل الظرف الاستثنائي انتقالات اجتماعية سريعة سواء من ادنى الى اعلى او بالعكس. كما انه لم يحض بالقبول الاجتماعي في ظاهره العام وان تمثله المجتمع وشكل رموزه اللغوية منها والمادية-الاجتماعية وهو ما سنكتشفه في المعادلة النفسية-الاجتماعية ذلك ان المكانات الاقتصادية الجديدة لم تنعكس اهميتها الا ما تميز منها باعلى قيمة وظيفية في ضوء تشكل ثقافة جديدة[2].

وقد عبر عنها برمزية اجتماعية عكست في واقع الحال: واقعه الاقتصادي-المعيشي (صعب التحصيل والتأمين)، وواقعه النفسي ومن الدعم الاجتماعي الذي يطلب الالتزام ببقايا المثال القيمي القديم، والنضال برغبة او قسر لأقرار مثاله القيم الجديد.

ومن اجل استجلاء صورة العقد التسعيني وما رافقه من ظهور ثقافة جديدة كانت الى حدٍ واضح مختلفة عن ثقافة السبعينات كما الثمانينات من هنا

(١) اينو روزي، مصدر سابق، ص١٢٣.
(٢) جيرالد بويز، مجتمع المدينة في البلاد النامية، ترجمة: د. محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص١٠١.

نجد بدأ من استعراض تشكيل الرمز الاجتماعي الذي رسخ المضمون النفسي والاجتماعي للمثال القيمي الجديد.